دور الصدامات العسكرية في تطوير ثقافة فرعية للكراهية وتداعياتها السلبية
بيانات أمبيريقية من المجتمع الليبي *

مصطفى عمر التير/ أستاذ علم الاجتماع/ الأكاديمية الليبية/ طرابلس، ليبيا

Email: **moattir@yahoo.com**

Abstract:
When Libyan youth took to the streets in a populist uprising in 2011, which became known as the 17 February 2011 revolution, many Libyans thought they were on the verge of removing one of the most vicious dictators of the twentieth century, Muammar Gaddafi, and building a new democratic state. Gaddafi responded forcefully, hoping to eliminate the movement in its infancy. But clashes between Gaddafi's forces and those who took to streets soon turned into a civil war, during which Libyan society was split into two major groups: one supporting the uprising, the other the regime. In addition to armed conflict, these warring groups regarded each other with contempt, generated slander, and accused each other of betrayal, using words and phrases in a discourse of hate speech. This vocabulary of hate manifested in demonstrations and social media. Eight months later Gaddafi was dead, and the political system he built over four decades collapsed. But the war did not stop: yesterday's allies became enemies, competing for political and economic gains. The number of contesting groups expanded as different clans, tribes, and cities joined the fray for personal gains. Strategies and techniques first used during the Libyan uprising were applied in the civil war, and are still manifest today. Every militia has a

* ترجمة لورقة نشرت باللغة الإنجليزية :
"The Role of Armed Conflict in Developing a Subculture of Hate and its Consequences: Imperical Findings from Libya", Contemporary Arab Affairs, Vol. 14, Number 2, 2021, pp. 62–76.

Facebook page, owns a television station, or has access to one. These media have been widely used to spread hate speech and to widen the rift between neighbors, creating refugees and internally displaced people. At least five cities became ghost towns during the uprising. When the concept of subculture first appeared in the sociological literature, it referred to members of a group that behaved according to a set of values and norms that deviated from those of mainstream society. Reviewing the language of militia members and their supporters that is articulated in social media or on television, it becomes obvious that such language has devolved into hate speech, creating social fragmentation among Libyans. This language has created a new set of values and norms in Libya that are different from preexisting mainstream Libyan culture. The new language has created a subculture of hate, which serves to sustain and accelerate continuing divisions within Libya, while further fragmenting the social fabric of the country.

مُقدمة:

انضمت ليبيا إلى ما أصبح يعرف بالربيع العربي من خلال ثورة 17 فبراير 2011، وهي ثورة انطلقت قبل هذا الموعد بيومين، عندما سار على الأقدام ما يقرب من ثلاثين شاباً، عند الساعة العاشرة مساءً من يوم 15 فبراير 2011، من أمام مبنى مديرية الأمن، في مدينة بنغازي في اتجاه ميدان الشجرة. ولما كان من الضروري أن يكون لكل تظاهرة هتافات، أكد أولئك الشباب على سلمية حراكهم. لكن الحدث الذي لم تشهد مثله المدن الليبية خلال العقود الأخيرة، أثار اهتمام الكثيرين الذين، ركنوا سياراتهم جانباً، وانضموا للتظاهرة. وقبل أن يصل المتظاهرون الى الميدان، تضاعف العدد أكثر من مرة، كما رفعت شعارات أخرى كان من بينها: "الشعب يريد تغيير النظام". وفي داخل الميدان، ارتفعت درجة حماس الشباب، حيث قام البعض بتمزيق صورة للعقيد القذافي، ما شجع أحد الصحفيين إلى الاتصال بفضائية الجزيرة، معلناً أن الثورة التي اجتاحت كلا من تونس ومصر وصلت ليبيا (المسماري، 2014) . تصدر خبر "الثورة وصلت ليبيا" نشرات اخبار أكثر من فضائية، في خلال الساعات الأولى، من فجر يوم السادس عشر من شهر فبراير 2011.

وهكذا لم تقتصر تظاهرات اليوم التالي على مدينة بنغازي، وإنما عرفتها مدن أخرى في الاقليمين الشرقي والغربي من البلاد.

حالة الإخوة الأعداء :

يمكن تصنيف المجتمع الليبي، بالنظر الى عدد من الخصائص الرئيسة: كالدين واللغة والعرق والتاريخ، ضمن مجموعة المجتمعات الخالية من التناقضات، التي تهدد حالة استمرار وحدته. الجميع مسلمون سنيون ويتحدثون اللغة العربية، ذوو جدور عربية باستثناء ثلاث مجموعات صغيرة من حيث العدد، ومع ذلك فإن المظلة الاجتماعية الثقافية العامة، التي يستضل تحتها جميع الليبيين، تتضمن أهم المتغيرات التي يلتفت إليها الفرد، عند ما يتطلب الأمر تحديد وتعريف الذات، والهوية، وكذلك الولاءات الرئيسة.

نسبة من السكان من ذوي البشرة الداكنة أو السوداء، لكن لا يعرف المجتمع تمييزاً عنصرياً في أماكن: العبادة والتعليم والسكن والمناشط الاجتماعية، استناداً الى لون البشرة كما هو الحال في بعض المجتمعات، باستثناء الزواج، وهو المجال الوحيد الذي تتحكم فيه تقاليد وعادات، تعطي وزناً خاصاً للصفات الاثنية، فيضيق مجال الخيارات أمام البعض، وقد يشعرون بعدم المساواة، أو وجود حالة من التميز ضدهم.

من بين الشعارات التي رفعها الشباب أثناء انتفاضتهم: "الليبيون قبيلة واحدة" للتأكيد على وحدة هدف المنتفضين، بالنسبة للهدف رقم واحد وهو: تغيير النظام. في الواقع ينقسم الليبيون إلى عد كبير من القبائل، وإن اختلفت في الجذور، تجمعها علاقات المصاهرة، والأحلاف، والمصالح الاقتصادية المشتركة. تعود الليبيون على التفاخر بقبائلهم، أو بمواقع الاستقرار، ولم يتعودوا على التنابز بالألقاب، أو تبادل الأوصاف السلبية كتلك التي قد تخلق عداوات بين فئات المجتمع. وإن انتشرت خلال بعض السنوات موجات من النكات، تتم نسبتها إلى سكان حي معين، أو مدينة بعينها، وكان هذا عبارة عن تقليد لما هو معروف في بعض بلدان الجوار، وخاصة مصر. لكن، لم تكن درجة سلبيتها عالية، وتتسبب في عداوات. تغير هذا الأمر، بمجرد نجاح الانقلاب العسكري، الذي أصبح يعرف بثورة الفاتح من سبتمبر. إذ أطلق صغار ضباط الجيش، الذين قادوا الانقلاب، على حراكهم اسم ثورة، وأطلقوا على انفسهم لقب ثوار. وهو لقب يحمل في رأيهم معاني موجبة، كما أطلقوا على رجال العهد الذي انقلبوا عليه، وعلى الذين لم يرجبوا بانقلابهم، أو أعلنوا عن معارضتهم، لقب رجعيين وهو لقب يحمل معاني سالبة. طالب هؤلاء القادة من الآخرين، وخصوصاً الصغار من طلاب المدارس والجامعات، الانضمام اليهم ليتمتعوا باللقب ذي الصفات الموجبة. وهكذا انقسم الليبيون لأول مرة إلى جماعتين متمايزتين، بغض النظر على الانتماء

القبلي، أو مقر الإقامة، أو مستوى التعليم، أو طبيعة العمل. وبعد أن نشر قائد الثورة كتابه الأخضر، أصبح هو المعيار، يصنف ضمن فئة الثوار كل من أعلن عن إيمانه بأطروحات الكتاب الأخضر، أما الرجعي فهو ذلك الشخص الذي اتخذ موقفا سلبياً من محتوى الكتاب. تعود العقيد معمر القذافي ابتكار مسميات جديدة ابتداءً من أسماء الأشهر، الى أسماء الأفراد، وأسماء بعض المدن، أو البلدان، وكذلك مكونات الجهاز الإداري، كما ابتكر قائمة للأوصاف السلبية، فأطلق مثلا اصطلاح "الكلاب الضالة" على أعضاء المعارضة، الذين يعيشون في الخارج، وينشطون في الدعاية ضد سياسته وبرامجه. لذلك جاء باصطلاح الجرذان، لوصف المتظاهرين، ورد هؤلاء بقائمة طويلة من الألقاب السلبية، استحوذ العقيد النسبة الكبرى منها.

وكما كان متوقعاً، لم يقبل النظام أن يخرج الشباب إلى الشوارع دون إذنه، وأن يأخذ خروجهم أسلوباً يختلف عن ذلك الذي يرضى عنه؛ أي مسيرات التأييد. لذلك رد بقوة وبعنف على أمل وأد الانتفاضة في مهدها، لكن حدث العكس، وتحولت الانتفاضةُ، إلى حراك شعبي شمل مدناً وبلدات كثيرةٍ، وعرفت البلاد أول حرب أهليةٍ في تاريخها، انقسم فيها الليبيون الى فريقين: الأول مع الحراك الشعبي، والثاني مع النظام. استعان الفريقان المتحاربان بأحدث أنواع الأسلحة الحربيةِ، كما وظفا تقنيات التواصل الاجتماعي، ليوجه كل فريق سيلاً من الشتائم باتجاه الفريق الآخر. وهي شتائم' لا يستخدمها سوى الأعداء اللدودين.

نظر كل طرفٍ إلى أنفسهم على أنهم "نحن"، ووصفوا أعضاء الطرف المقابل بـــ"الآخر". وبغض النظر عن الجانب الذي يصف نفسه بـــ"نحن"، ينسبون لأنفسهم جميع الصفات الإيجابية كالشجاعة والوطنية وخدمة الصالح العام الخ.. بينما ينسبون مختلف أنواع الصفات السلبية إلى الأخر، فهو الظالم والمعتدي والمرتكب لجميع أنواع الموبقات. يحترم أعضاء جماعة "نحن" القانون، وهم أصحاب الأخلاق الحميدة، والحريصون على الالتزام بالشعائر الصحيحة للدين الإسلامي، وعليه ستذهب أرواح الذين يستشهدون في المعركة الى الجنة، بينما تكون جهنم مصير الذين يموتون من جماعة "الآخر".

لا يقتصر استعمال مصطلح الآخر هنا على عضو المليشيا المشارك في نزاع مسلح، إنما شمل الشخص العادي في عشيرة أو قبيلة أو مدينة، صنفته جماعة "نحن" عدواً. خلال الحرب الأهلية التي اندلعت في العام 2011، ساند سكان بعض المدن في المنطقة الغربية النظامَ، شجعوا بعض الشباب لتكوين تشكيلات شبه عسكرية، تقدم الدعم والمساعدة لقوات النظام. ارتكب بعض أعضاء تلك التشكيلات، جرائمَ تدخل ضمن انتهاكات حقوق الانسان كالتعذيب والاغتصاب والقتل. بعد سقوط النظام، اجتاحت مليشيات المدن التي ارتكبت فيها تلك الجرائم، المدنَ والقرى

التي تسبب شبابها في تلك الجرائم . لم تفتش هذه المليشيات على الأفراد الذين ارتكبوا تلك الجرائم، إنما اعتبرت أن جميعَ سكان القرية أو المدينة مدانون، فعوقب الجميع'، وبذلك دمرت مدن وقرى، وقتل منها من قتل، والقي القبض على البعض، بينما فر من نجا بجله بعيداً وانضم الى أعداد المهجرين داخلياً، وأصبحت خمس مدن عبارة عن" مدن أشباح"(التير ، 2020). حدثت هذه الحالة بين مدن وبلدات متجاورة، فكانت النتيجة أن اصبح الجيران أعداءً.

قتل القذافي بطريقة مهينة، ألقي القبض على المئات من أنصاره، وهرب الآلاف إما الى خارج البلد أو انضموا إلى أعداد المهجرين داخلياً أربع حكومات تعاقبت على حكم البلاد في خلال الفترة من 2011 إلى 2020. كان في كل واحدة وزراء ووكلاء وزراء ومدراء، إلا أن القوة الحقيقية بقيت في أيدي قادة المليشيات، الذين استمروا في التنافس على المكاسب السياسية والاقتصادية. ولأن المحسوبية والمحاصصة المتغير الرئيس الذي على أساسه يتم تعيين الموظفين، عملت كل مليشيا بنشاط لوضع أكبر عدد من التابعين إليها في مواقعَ مهمةٍ، خصوصا تلك التي يتحكم شاغروها في تحريك الأموال في الداخل والخارج بسهولة. أولوية شاغل الموقع الحكومي، في الحكومات التي تعاقبت على إدارة شؤون الدولة في خلال العشر سنوات الأخيرة، ليست خدمة جميع المواطنين، إنما استخدام الموقع الحكومي لخدمة أقاربهم وشركائهم، والحصول على أكبر قدر من الفوائد والمكاسب المادية لأنفسهم، لذلك لم يكن أمراً مستغرباً، عندما صنفت منظمة الشفافية ليبيا، على أنها الدولة رقم 168 الأكثر فساداً من بين 180 بلداً في مؤشر مدركات الفساد العام لسنة 2019 .

وكما ذكرنا في مكان سابق، شهدت ليبيا خلال العشر سنوات الماضية الكثير من الصدامات المسلحة بين المليشيات المتصارعة. استخدمت في تلك الصدامات مختلف أنواع الأسلحة العسكرية، كما وظفت أحدث تقنيات الاتصالات، لوصف الخصم بمختلف الصفات السلبية، التي تعد ضمن خطاب الكراهية.

الغالبية العظمى من الليبيين لا يوافقون على مثل هذا السلوك، وينظرون اليه كعمل يفرق بين فئات المجتمع، ويصب في صالح الخلافات بين المليشيات، والصراع الداخلي الذي ظهر بقوة عقب مقتل العقيد القذافي. لكن المركز الليبي لحرية الصحافة وحده، انفرد بإنشاء منصة لمتابعة الانتهاكات والمخالفات والتحيز في تقديم الأخبار والمعلومات والتقارير. نشرت وحدة رصد وسائل الاعلام بالمركز، عدداً من التقارير المختصرة. بعضها عبارة عما تم رصده من انتهاكات، بثتها الفضائيات الليبية خلال أسبوع واحد، وبعضها اختص بفترة زمنية أطول من أسبوع. ومع أن أي فضائية يمكن ان تبث أخبارا كاذبة، وعبارات تعبر عن الكراهية، لكن، وكما توضح البيانات

المتضمنة في الجدول رقم (1)، ثلاث فضائيات من بين خمس عشرة فضائية، كانت مسئولة عن 37% من مجموع الانتهاكات التي رصدت خلال فترة معينة. (العدد الكبير من الحالات المدرجة في الجدول رقم (1)، صنفت كانتهاكات لأخلاق الصحافة، إلا أن معظمها عبارة عن عبارا ت تعبر عن خطاب الكراهية)

جدول رقم (1) الأعداد والنسب المئوية لعبارات الكراهية والأخبار الكاذبة التي بثت خلال برامج عدد من الفضائيات الليبية

اسم الفضائية	العدد	%
الجماهيرية	1726	13.84
المرصد	1551	12.44
التناصح	1438	11.53
الساعة 24	1025	8.22
فبر اير	998	8.00
الر ائد	920	7.38
ليبيا الأحرار	906	7.27
الحدث	865	6.94
LPC بانوراما	662	5.31
ليبيا روحها الوطن	484	3.88
218 News	472	3.79
أخبار ليبيا 24	425	4.44
بو ابة أفريقيا الاختبارية	338	3.11
عين ليبيا	335	2.69
إيوان	275	2.21
100	12470	100.00

المصدر: المرصد الليبي لحرية الصحافة، وحدة وصد وسائل الاعلام، تقرير الربع الأول من عام 2020، ص. 14

كان السبب من وراء استخدام خطاب الكراهية، الدفع بدرجة العداوة إلى أقصى حد ممكن، بهدف رفع حدة القتال، وإلحاق اعلى درجة من الضرر والدمار على مستوى الأفراد، وعلى مستوى البنية التحتية، لذلك قتل وجرح وهجر الآلاف، وتحولت شوارع وأحياء سكنية وحتى مدن إلى ركامٍ.

ثقافة فرعية للكراهية في طور التكوين:

تمت صياغة مفهوم الثقافة الفرعية لأول مرة، في خلال خمسينيات القرن الماضي، من قبل علماء الاجتماع المنتمين لمدرسة شيكاغو، أثناء تنفيذهم دراسات أمبيريقية في مجال الجريمة وجنوح الأحداث. كان كوهين 1955 رائداً في هذا المشروع البحثي، من خلال دراسته لعصابات الشباب في مدينة شيكاغو. تبين له أن شبان الطبقة الاجتماعية الدنيا محبطون، لأنهم لا يستطيعون التنافس مع شبان الطبقة الوسطى، للوصول الى النجاح المؤسسي. فهم لم يتحصلوا على التدريب المناسب، لضمان الحصول على مواقع في سوق العمل، توفر لهم الدخل المناسب، لذلك رفضوا أهداف الطبقة الوسطى، وكذلك الوسائل التي يوظفها أفراد الطبقة الوسطى للوصول إلى تلك الأهداف، واستبدلوها بأهداف ووسائل يقدرون على تنفيذها. وبعبارة أخرى، رفض الشباب الذكور في المناطق السكنية للطبقة الاجتماعية الدنيا، بعض جوانب الثقافة السائدة، واستبدلوها بأخرى جديدة، وبالتالي تمكنوا من تطوير ثقافة فرعية. تصنف الثقافةُ الأمريكيةُ السائدةُ سلوكَ هؤلاء الشبان سلوكاً منحرفاً، لكن أعضاء عصابات الشبان، لا يصنفون أنماطهم السلوكية بنفس الطريقة، بل يرون أنماطهم السلوكية عادية وطبيعية، لأنها تتوافق والقيم والأعراف الثقافية التي يحترمونها ويؤمنون بها، وعليه التزموا بقواعدها الخاصة. على نفس المنوال، جادل ميلر 1956 مؤكداً على أن العلاقة بين الجريمة والطبقة الاجتماعية الدنيا علاقةٌ خطيةٌ، مؤكداً على أن جميع عصابات الشباب المنحرفة، تنتمي إلى المناطق التي يقطنها سكان الطبقات الاجتماعية الدنيا. ثم حاول تحديد أهم الاهتمامات ولأولويات الثقافية، لثقافة الطبقة الدنيا، فلخصها في: أعمال الشغب والمشاكسة والاثارة والفهلوه والتمرد والتباهي بالقوة العضلية، وهي خصائص تتعارض وتلك التي يحرص أبناء الطبقة الوسطى في أمريكا على ترسيخها المتمثلة في: الاجتهاد والإخلاص في العمل والانضباط والادخار والاستثمار والصدق والمثابرة .

واصل كل من كلاود وأوهلين 1960 نفس المسار، وشددا على أهمية أن تتوافر في البيئة المحلية الوسائل والتقنيات الضرورية للقيام بالأفعال المنحرفة، وكذلك يتواجد منحرفون ذوو خبرة، مستعدون لمساعدة الآخرين للانخراط في عصابات الجريمة، وهؤلاء هم الأقلية، بينما غالبية شبان الطبقات الاجتماعية الدنيا، عبارة عن شبان عاديين، ولا يخالطون عصابات الشبان المنحرفين.

من المؤكد أن خصوصية المجتمع الأمريكي، ذو التاريخ الطويل في مجال التميز العنصري والصراع العرقي، وعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية بين السكان، سمحت بهذا النوع من التفسير، وبالتالي فإن هذه الأنواع من الثقافات الفرعية المنحرفة، لا تتطور إلا في المجتمعات التي

تشترك مع المجتمع الأمريكي في ظروفه ونظامه وخصائصه. لكن بعض الباحثين رأى أن المفاهيم والنظريات المتعلقة بالثقافات الفرعية، قد تفيد في تفسير أنماط سلوكية ليست منحرفة، إذ لا يجب أن تقتصر هذه النظريات، على تفسير سلوك الشباب المنحرف في مناطق الطبقات الدنيا، في المجتمعات الصناعية، إنما يمكن توظيفها لتفسير أنماط سلوكية في مجالات متعددة.

انسجاماً مع هذا الرأي، اقترح تيرنر 1976، أن التغييرات في طبيعة التكامل الاجتماعي في داخل المجتمعات الصناعية، جعلت من الصعب على بعض الشبان التكيف في المؤسسات الرسمية، فينقلبون إلى داخل ذواتهم، يفتشون في دوافعهم وعواطفهم للوصول على مفاهيم ذاتية، ويطورون تفسيرات ثقافية خاصة بهم. وعليه لا تتطور بعض الثقافات الفرعية للشباب بناءً عن رفض الثقافة السائدة، بل تكون حالةً من حالات ردود الأفعال عن الثقافة السائدة، وعليه يمكن النظر إلى أنماطهم السلوكية المختلفة، كنوع من أنواع الابداع، وممارسة الأصالة (تينر 1976).

وفي نفس السياق، يرى عدد كبير من الباحثين، أن توظيف نظرية الثقافة الفرعية، لتفسير سلوك الجماعات، التي طورت أنساقا جديدة من القيم ، وجعلتها مرجعاً لأنماط سلوكية جديدة بالمقارنة مع تلك التي عرفها المجتمع لفترات زمنية طويلة (كاتلر 2006).ومن مجالات الأنشطة الاجتماعية، التي حظيت بدراسات وظفت فيها مفاهيم ونظرية الثقافة الفرعية: الانتماء الديني (جاي اليسون 1993)، والتخصص المهني (ترايس 1993)، والسلوك الاستهلاكي (شوتون الكزاندر 1995)، وسلوك متعاطي المخدرات(كاتلر 2006). وقد تطول القائمة لتشمل مختلف المجموعات ذوات الخلفيات والاهتمامات وأنماط الحياة المختلفة، وبالطبع إلى ما يمكن ان نطلق عليه ثقافة فرعية للكراهية.

تظهر مراجعة سريعة لمفهوم الكراهية في أدبيات العلوم الاجتماعية، وجود قائمة طويلة من التعريفات. يرى بعض علماء النفس مثلاً أن الكراهية شعور طبيعي، من حيث أن التعبير عن الكراهية يكاد يظهر في داخل أي تجمع بشري، بل يقول البعض أن الكراهية والحب ينتميان إلى نفس المصدر، ويختلفان فقط في الناتج النهائي، ففي حين تكون نتيجة الحب المزيد من التقارب والمزيد من العلاقات الحميمية، ينتج عن انتشار الكراهية التباعد والانفصال. ولا يمكن القول أن كل كراهية تقود إلى أعمال العنف، إلا أنها السبب وراء أشد أشكال العنف قسوةً، كتلك التي تشمل المذابح الجماعية والإرهاب والابادة الجماعية (ستيرنبرج 2005). لذلك نرى أن ثقافة فرعية للكراهية، يمكن أن تظهر في أي مجتمع، وفي خلال أي فترة زمنية.

ترجع جذور الثقافة الليبية إلى التراث العربي، والقيم المستمدة من الدين الإسلامي. يحرص الموكل إليهم المحافظة على مكونات الثقافة، وتأمين نقلها عبر الأجيال، على أن يكتسب الصغار خلال سنوات حياتهم الأولى، القيم والمعايير الثقافية، على أمل أن يحافظ عليها الأفراد في خلال جميع مراحل الحياة، لضمان أن تقوم الثقافة بدور مهم في المحافظة على الوحدة الوطنية. إلا أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة، ولا تتوقف عند حدود مرحلة عمرية بعينها، لذلك قد تتسرب قيم أخرى، من شأنها أن تعمل ضد استمرار الوحدة الوطنية وإضعافها. هل تعكس حالة الشراسة التي حارب الليبيون بعضهم بعضاً، منذ العام 2011 أن الوحدة الوطنية التي تمنوا أن تكون قوية ومتماسكة، لم تكن كذلك؟

ذكرنا في مكان سابق، أن الليبيين عندما خاضوا أولى حروبهم الأهلية، لم يكتفوا باستخدام مختلف أنواع الأسلحة، وإنما استعانوا بكم هائل من الألفاظ والعبارات المعبرة عن درجة عالية من الكراهية. حرصت كل مليشيا أن تكون لها صفحة على موقع الفيسبوك، كما نجح بعضها في امتلاك قناة فضائية استخدمت هتين الوسيلتين استخداماً واسعاً لتأجيج الأعمال العدوانية.

تعد البرامج التلفزيونية من بين أهم وسائل الترفيه، التي يشترك فيها الليبيون، بغض النظر عن خلفياتهم الاجتماعية، بناءً على مستوى التعليم أو مستوى الدخل أو مكان الإقامة. بمكن القول، أن كل أسرة ليبية تملك، على الأقل جهاز تلفزيون واحد، لكن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، تنتشر بين شريحة معينة من السكان. ولكي نقدم نموذجا لطبيعة ونوع خطاب الكراهية المنتشر في ليبيا، رأينا من الأنسب الاعتماد على البرامج التي تبثها الفضائيات الليبية.[1] وتوضح البيانات الواردة في الجدول رقم (2)، أن خطاب الكراهية الذي يبث عبر لفضائيات الليبية يغطى مجالاً واسعاً وتتدرج هذه المجالات من تقديم أخبار كاذبة، إلى استخدام لغة بذيئة، أو الاتهام بالخيانة، إلى التحريض على القتل بعض العبارات الواردة في الجدول رقم (2)، يمكن تواجدها في خطاب للكراهية في أي مجتمع، بينما البعض الآخر لا يناسب إلا الحالة الليبية. هكذا اجتهد كل طرف في توجيه أكبر عدد من التهم الى الطرف المقابل، واعتباره مسؤولاً عن ارتكاب أفظع وأشنع الجرائم. وهو أسلوب تكرر- كما أكد بعض الباحثين - في حالات كثيرة، لتعزيز مشاعر الكراهية، ضد الذي يقف على الطرف المقابل، لتبرير الموقف المعادي، والأفعال التي ستوجه نحو العدو (ستوب 2005).

[1] -تمت الاستعانة بستة من طلبة الدراسات العليا، لرصد كلمات وجمل وصور تحمل معاني الكراهية، بثت خلال ثلاثة برامج (الأخبار ، وحوار سياسي ، وحوار اجتماعي) خلال ساعات الذروة؛ أي ما بين الساعة الثامنة والحادية عشر مساءً، خلال الفترة الو اقعة ما بين 2020/2/1 و2020/2/20 ، تولى كل طالب متابعة قناة فضائية واحدة .

جدول رقم (2) النسب المئوية لمجالات الكراهية التي بثت عبر ست فضائيات ليبية خلال الفترة الو اقعة ما بين 2020/2/1 و 20/ 2/ 2020

مجالات خطاب الكراهية	%
تزوير معطيات أو معلومات أو أخبار.	15.27
الوصم أو التحقير أو أي شكل من أشكال التنمر.	14.47
توجيه تهمة الالحاد.	12.06
استخدام الألفاظ النابية وتوجيه الشتائم.	10.09
بث الاشاعات والتضليل الإعلامي .	9.00
التحريض على القتل أو الحرب أو الفتن.	8.68
توجيه تهمة الخيانة والعمل لمصلحة دولة أجنبية.	8.03
الدعوة للانتقام والإقصاء.	6.82
توجيه تهمة التخلف.	5.00
السب أو التشهير.	4.35
التحريض على التطهير العرقي أو القبلي.	3.73
بث صور الازدراء أو التعذيب أو القتل.	2.50
المجموع	100.00 (1244)

بالإشارة إلى البيانات الواردة في الجدولين الاحصائيين رقمي(1 و2)، يمكننا التأكيد على أن اللغة التي ظهرت بعد ثورة 17فبراير 2017 وتداعياتها، لغةٌ جديدةٌ لم يتعود الليبيون سماعها من قبل. وهي لغةٌ تشكل تحدياً للغة السائدة في المجتمع، وتعكس نسقَ قيمٍ جديد وأن نسق القيم هذا إذا استمر في التجذر في داخل المجتمع الليبي، سيقود حتماً إلى بروز ثقافة فرعية جديدة؛ بمعنى ثقافة تؤثر على الأنماط السلوكية لشريحة من أعضاء المجتمع. وهي بهذا الشكل تختلف عن الثقافات الفرعية، التي وصفت في بحوث ودراسات مدرسة شيكاغو، التي أنجزت بين عينات من الشباب الذي يعيش في مناطق السكن الهامشية لمدينة شيكاغو. ومع ذلك ورغم الاختلاف، إلا أن كلا النوعين، يقودان الى نفس النتيجة، حيث يشكلان تهديداً لحالة التوازن التي عليها البناء الاجتماعي.

ولما كانت الكراهية عبارة عن مشاعر إنسانية، فمن الممكن أن يطور أي شخص عادي، مشاعر سلبية ضد شخص أو ضد جماعة، ولا يظهر مشاعره علانيةً ، ولكنها ستظهر إلى العلن في

الحالات التي تتطلب بالضرورة تسجيل رأيه بطريقة سرية، عندما يكون هذا الرأي يتعارض مع القانون. وعلى العكس من هذا، وجدت منظمات ونوادي وجمعيات في بعض البلدان، تعلن عن كراهيتها للأخر المختلف عرقياً أو أيديولوجياً صراحة، كجماعات الكوكلاس كلان في الولايات المتحدة الأمريكية، والنازيون الجدد في أوربا، وكذلك بعض الجماعات الموسيقية التي تدعو إلى تفوق العرق الأبيض، وتنشر ثقافة الكراهية عبر أغانيها. ومع أن هذه الجمعيات والنوادي تواجه معارضة في داخل مجتمعاتها، إلا أنها نجحت في الاستمرار والتمدد من حيث العدد، مستفيدة من التطور الكبير الذي حدث خلال السنوات الأخيرة في وسائل وتقنيات التواصل.

ذكرنا في مكان سابق، أن اللغة المستخدمة في خطاب الكراهية في المجتمع الليبي، تعكس نسقاً للقيم يختلف عن نسق قيم الثقافة السائدة، لكننا نلاحظ أن المنتمين لهذه الثقافة الفرعية لم يرفضوا جميع قيم الثقافة الليبية، بل أكدوا على بعض أهم هذه القيم، ولكن بعد إدخال تعديلات على مستوى تفسير النصوص. مثلا تقدم جميع المليشيات المتحاربة صورة عن نفسها بأنها جماعة متدينة، وحتى شديدة التدين. وليتفادى كل فريق مخالفة منطوق الحديث الشريف " إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار"، اختارت كل جماعة مفتياً، مهمته اصدار فتاوى تحث على قتل الآخر، لأنه بحسب نفس الفتوى كافر أو ملحد. ومع أن هذا قد يبدوا لأول وهلة نوعاً من الاجتهاد، إلا أننا لا نرى ما يقوم به مفتي كل جماعة مسلمة، تدخل في حرب مع جماعة مسلمة أخرى، كما في الصدامات المسلحة المشار إليها آنفاً، يرقى إلى مستوى الأصالة والابداع كما حدده ليرنر1976 وليفين ووليمز2009. والسبب هو أن مثل هذه الفتاوى التي تكفر الآخر، ظهرت في جميع العصور، وفي أكثر من بلد يدين أهله بالإسلام. إذا الذي حدث في هذا الشأن في المجتمع الليبي، لا يعدوا عن تقليد لنمط سلوك قديم، ولم يزد عن كونه عودة في الزمن إلى الوراء، فهو سلوك ماضوي، بينما الابداع فعل في زمن المستقبل.

لا تزال الثقافة الفرعية الليبية في طور التكوين، ويتطلب الأمر مرور بعض الوقت قبل أن تتضح علاقتها بالثقافة السائدة. ومع ذلك يتبادر إلى الذهن سؤال حول الحجم، ما هو حجم المنتسبين لهذه الثقافة الفرعية؟ ليس من السهل الإجابة عن هذا السؤال، سيكون من الممكن فقط تقدير حجم القادة لكونهم يعلنون عن أنفسهم بسهولة. وكما ذكرنا سابقاً، خطاب الكراهية خطاب جديد، ولا يحظ بتأييد واسع بين الليبيين، بل الغالبية تستنكره، لذلك نتوقع أن غالبية المنتمين إلى هذه الثقافة الجديدة، أو المتعاطفين معها لا يظهرون ذلك، تفادياً للضغوط الاجتماعية التي قد يوجهونها من التكوينات والهياكل الاجتماعية، خصوصا التقليدية.

ينتمي كل ليبي إلى قبيلة، ويفخر بانتمائه القبلي بغض النظر عن حجم القبيلة، أو موقعها في تراتبية السلطة أو القوة، ويحرص الفرد على تأكيد تضامنه القبلي، "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً". يعكس هذا القول المأثور طبيعة التضامن والتماسك الاجتماعي بين أفراد القبيلة الواحدة. يتحرك الليبي داخل المجتمع ليس كفرد مستقل، ولكن كفرد يحمل إرث الجماعة. حيث ينظر إلى الإنجاز المتميز لأي شخص، مصدر فخر لكل عضو في القبيلة، كذلك، يجلب الفعل المنحرف، العار لجميع أفراد القبيلة. وعليه يتجنب الفرد القيام بأنماط السلوك التي قد تجلب العار إلى قبيلته. لا تقيم القبيلة في الوقت الحاضر في عزلة، وبعبارة أخرى، يشترك عدد من القبائل في رقعة جغرافية واحدة؛ سواءً كانت قرية أو بلدة أو مدينة، ويتواصل أفراد القبائل المختلفة مع بعضهم البعض، ويبنون علاقات اجتماعية مترابطة ووثيقة، وبالتالي فإن الدرجة القوية للتعاون والتماسك التي تتميز بها القبيلة الواحدة، سوف تمتد لتشمل أعضاء القبائل التي تتشارك الرقعة الجغرافية. يلعب هذا النموذج من الترابط الاجتماعي دوراً مهماً في المجتمعات التقليدية، ويمكن أن يلعب نفس الدور في المجتمعات الحديثة، إذ على الرغم من مظاهر الاختلاف بين المجتمعات التقليدية والمجتمعات الحديثة، إلا أن بعض الخصائص المجتمعية، تكون لها نفس القيمة في كليهما.

قد يبدو استخدام مفهوم القبيلة، ومجموعة المفاهيم المرتبطة بها، لشرح بعض الظواهر الاجتماعية في المجتمعات الحديثة أمرا غريبا، ومع ذلك يدعو بعض العلماء إلى أهمية الاستعانة ببعض المفاهيم المرتبطة بالقبيلة، لفهم بعض الظواهر والحركات الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة. أغلب هؤلاء من الباحثين المرتبطين بالمجتمعات الحديثة وبالمؤسسات الحديثة، واهتموا بدراسة بما أصبح يعرف بالقبلية الجديدة أو القبائل الطموحة (مافسيولي 1996 كابلان وكوستا 20159). وقد أكد البعض على أهمية الدرجة القوية من التعاون والتنسيق الذي تحرص عليه القبيلة؛ أو بما يعرف برأس المال الاجتماعي، وأنه من بين الشروط المهمة، للحصول على أفضل النتائج، في مختلف مجالات الحياة في المجتمعات المعاصرة، خصوصاً ما يتعلق بمصادر تطور مظاهر الكراهية، بين فئات المجتمع وارتفاع مستوياتها (بورتس 1998 وشولز وبارون 2001 وبوتمان 1993).

يرى أوبوتو 1990، عندما ترتفع درجة الكراهية كثيراً، من قبل فرد أو جماعة، يصبح اتخاذ إجراء صارم ضد الهدف المكروه أمراً متوقعاً. قد يتخذ هذا الإجراء الشديد عدة أشكال؛ قد يجبر الفرد أو الجماعة الموجهة الكراهية باتجاهها على الخروج من مكان الإقامة، والذهاب بعيداً إلى منطقة سكنية أخرى، أو التعرض لمعاملة سيئة، أو الضرب او حتى القتل. هكذا دفع خطاب

الكراهية آلاف الليبيين إلى الفرار من ديارهم؛ فر البعض إلى بلدان الجوار، وبقي البعض في الداخل مع أقاربه، أو في مخيمات التهجير القصري في الداخل. كانت النتيجة الأسوأ، عندما أصبحت خمس مدن بدون سكان (التير 2020). ومع أن سكان أربع مدن عادوا إلى ديارهم، لكن لم يعد المكان هو المكان ولا الجار هو الجار.

وفي الختام، لم يخل المجتمع الليبي من مظاهر الصراع وحتى الحروب بين القبائل، وكان أغلبها نزاعات على الأراضي، وكانت تحل من خلال لجان المصالحة، التي يتولاها الزعماء التقليديون، وتعود الأمور الى ما كانت عليه قبل حدوث النزاع. لكن حروب المليشيات قادت إلى بداية تكوين ثقافة فرعية، تميزت بخطاب للكراهية، استند إلى مجموعة من المعتقدات والقيم والأعراف. وهو خطاب أدى الى انتشار اعمال عدوانية بين الجيران، الأمر الذي سيكون له في النهاية تأثيرُ سلبي′، على حالة العيش المشترك بين الليبيين. وإذا تعطلت مجهودات المصالحة، وتعرقلت مشاريع′ إعادة الأعمار، وأصبحت فكرة إعادة بناء الدولة والمجتمع بعيدةَ المنال، سترتفع درجة الكراهية، التي ستقود إلى تفتت النسيج الاجتماعي، وتحطم الهياكل الاجتماعية الرئيسة. لذلك تكاثرت خلال السنوات الأخيرة، أصوات المنادين من داخل المجتمع ومن خارجه، إلى تقسيم البلاد الى كيانات صغيرة، وإذا أمكن لهذه الدعوة أن ترى النور، فستكون هذه الكيانات المفترض تواجدها متجاورةً، ولكنها متخاصمةُ ومتنافرةُ، وستتكرر بينها الصراعات والخصومات.

ثبت المصادر

أ - باللغة العربية:

1. التير، مصطفى عمر.(2020). الثورة الليبية: مساهمة في تحليل جذور الصراع وتداعياته. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

2. المسماري ، إدريس. (2014). سيرة فبراير: تجربة شخصية. 2. بيروت: دار النهضة العربية.

ب - باللغة الإنجليزية:

3. Attir, Mustafa O. (2016). Cnflict Between Tent and the Palace: critique of the Libyan Pattern of Modernity. London: Createspace.

4. ----------.(2020). "Forced migration and social fragmentation in Libya." Journal of Al Mustaqbal Alarabi, No. 492, 103-119.

5. Becker, Howard. "The Culture of a Deviant Group: The Jazz Musician". In K.

6. Brown, Alexander.(2017). "What is Heat Speech? Part 1: The Myth of Hate." Journal of Law and Philosophy, 27/3/2017, in

https://www.researchgate.net/publication/315473313_What_is_hate_speech_Part_1_The_Myth_of_Hate< (Last access: 10 October 2020).

7. Cloward, Richard A. and Lloyed E. Ohlin. (1960). Delinquency and opportunity: A theory of Delinquent Gangs, New York: The Free Press.

8. Cohen, Albert K.(1955). Delinquent Boys: The Subculture of Gangs. New York: Free Press.

9. Cutler, C. (2006). Subcultures and Counter Cultures. Stony Brook University, Stony Brook, New York.

10. Gay, D. A. & Ellison, C. G.(1993). Religious Subcultures and Political Tolerance: Do Denominations Still Matter. Review of Religious Research, 34(4),311-332.

11. Kapkan, Jeffrey, and Christopher p. Costa. (2015) . "The Islamic State and the New Tribalism. Terrorism and Political Violence". 27(5),926-969.

12. Lewin, Philip and J Patrick Williams. "The Ideology and Practice of Authenticity in Punk Subculture". In Vannini, Philip, and J. Patrick Williams. (eds.)(2009). Authenticity in Culture, Self, and Society. New York: Routledge.

13. Libyan Center for Freedom of Press, media monitoring unit, "Report of Monitoring Hate Speech and Fake News on 15 Libyan TV Channels during first quarter of 2020", at:
https://falso.ly/en/wp-content/uploads/2020/10/re2020-en-PRINT-2.pdf

14. Maffesoli, Michel.(1996). The Time of the Tribes: The Decline of Individualism in Mass Society. London: Sage.

15. McVeigh, R.(2009). In the Rise of the Ku Klux Klan: Right-Wing Movements and National Politics. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

16. Merton, Robert K.(1968). Social Theory and Social Structure. 4th ed. New York: Free Press.

17. Miller, Walter B. (1958). "Lower Class Culture as a Generating Milieu of Gang Delinquency". Journal of Social Issues, 14(3) , 5-19.

18. Opotow, S. (1990). "Moral exclusion and injustice: An introduction". Journal of Social Issues. 46(1),1-20.

19. Portes, A. (1998). "Social Capital: its Origins and Applications in Modern Sociology". Annual Review of Sociology. 24,1-24.

20. Putnam, Robert D. (1993). "The Prosperous Community: Social Capital and Public Life". The American Prospect. 13, 35-42.

21. Schouten, John W. and James H. McAlexander. (1995). "Subcultures of Consumption: An Ethnography of the New Bikers", Journal of Consumer Research. 22, 43-61.

22. Schuller T, Baron S, Field J. "Social Capital: a Review and Critique". In: Baron S, Field J, Schuller T. (eds.)(2001). Social capital: critical perspectives. Oxford: Oxford University Press. Southern Poverty Law Center, Report of 2018, at: https://www.splcenter.org/hate-map#

23. Staub, E. "The origins and evolution of hate, with notes on prevention". In: R. Sterneberg (ed.)(2005). The Psychology of Hate. Washington: APA.

24. Transparency International. 2019. Corruption Perceptions Index, in https://www.transparency.org/en/cpi/2019< (Last access: 5 December 2020).

25. Turner, Ralph.(1976). "The Real Self: From Institution to Impulse." The American Journal of Sociology, 81(5), 989- 1016.